مادة العقيدة (النبوات)

المحاضرة الثالثة

م.د. اشجان عبدالله

مستلزمات النبوة
صفات الرسل والأنبياء

امتاز الرسل والأنبياء (عليهم السلام) بصفات فيها جميع خصال الخير، بعيدةً عن النقائص التي لا تليق بهم، وهي كما يأتي:

الصفة الأولى: العصمة

العصمة لغةً : الحفظ .

واصطلاحاً: هي لطف من الله (تعالى) يحمل صاحبها على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء .

وبتعريف آخر: هي أن لا يخلق الله فيهم ذنباً .

والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر .

****

النوع الأول: العصمة من الكبائر :

الكبائر هي: ما ترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب .

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما من الذنوب الكبيرة الأخرى، وتفصيل ذلك كما يأتي:

صفات الرسل والأنبياء

أولاً : العصمة من الكفر:

اتفق جمهور المسلمين على أن الأنبياء (عليهم السلام) معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، ولا يجوز عليهم الكفر في حال الصغر تبعاً للوالدين، لأنهم مؤمنون بالله ، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً .

ثانياً : العصمة من الكذب :

الصدق : هو مطابقة حكم الخبر للواقع . وأنواعه ثلاثة :

١- الصدق في دعوى الرسالة .

٢- الصدق فيما يبلغونه عن الله (عز وجل) إلى الناس من الأحكام الشرعية .

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأمور الدنيا .

وضده الكذب .

ويستحيل صدور الكذب عن الأنبياء على سبيل العمد كما أجمع أهل الملل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام، وهو المعتمد على ما أفاده المحققون .

صفات الرسل والأنبياء

الدليل النقلي على صدق الأنبياء:

١- قول الله (تعالى) : ((وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى)) [النجم: ٣-٤] .

٢- قوله (تعالى) : ((وصدق المرسلون)) [يس:٥٢] .

٣- قوله (تعالى) : ((ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين)) [الحاقة: ٤٤-٤٧] .

٤- في الحديث : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال : ((إني لا أقول إلا حقاً)) .

الدليل العقلي على صدق الأنبياء:

١- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره (تعالى)، وهو محال، لأنه (تعالى) صدَّقهم بالمعجزات .

٢- الكذب معصية وهم معصومون منها .

٣- لو كذبوا وعرف الناس منهم ذلك لانتفت فائدة الرسالة .

أما ما ظاهره الكذب في حق الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل (عليه السلام) حين كسر الأصنام وأبقى كبيرها فقط ، فلما سئل ((قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)) [الأنبياء: ٦٢-٦٣] فإنه يؤول بأن قصده (عليه السلام) التبكيت

صفات الرسل والأنبياء

والاستهزاء، لأنه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم: من فعل هذا ؟

وقيل معناه : سلوهم إن نطقوا يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل، وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل ، فقوله هذا من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ، وهو الذي صححه القرطبي وقيل غيره .

ثالثاً : العصمة من الكبائر الأخرى:

ونبين هنا حال صدور الكبيرة عنهم عمداً أو سهواً ، قبل البعثة أو بعدها .

قبل البعثة :

الأنبياء قبل بعثتهم معصومون من صدور الكبيرة التي توجب النفرة منهم، كعهر الأمهات، والفجور في الآباء .

وبعد البعثة :

هم معصومون منها عمداً ، وهو قول الجمهور من المحققين والأئمة، ومعصومون منها سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المختار.

صفات الرسل والأنبياء

النوع الثاني: العصمة من الصغائر :

الصغائر هي : ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة .

الصغائر نوعان:

أ- صغائر الخسة التي تلحق فاعلها بالأراذل ، كسرقة حبة أو لقمة ، أو التطفيف بتمرة ، والأنبياء قبل البعثة معصومون منها .

وبعد البعثة كذلك فلا صدر منهم أصلاً لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق .

ب- الصغائر الأخرى:

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً وتجوز سهواً ، لكن لا يصرون عليها، ولا يقرّون من الله (تعالى) عليها، بل يُنبهون فيتنبهون، وعليه المحققون من المحدثين والسلف الصالح، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : ((إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني)) .

صفات الرسل والأنبياء

أدلة عصمة الأنبياء :

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة منها :

١- لو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن اتباعهم فرض وللإجماع ولقوله (تعالى) : ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله))[آل عمران: ٣١] .

٢- لو أذنبوا لرُدَّت شهادتهم ، إذ لا تقبل شهادة الفاسق بالإجماع، ولقوله (تعالى): ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)) [الحجرات: ٦]، لأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم؟ .

٣- إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولاشك أن زجرهم إيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله(تعالى) : ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا)) [الأحزاب: ٥٧] .

٤- لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله (تعالى) : ((ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً)) [الجن: ٢٣]، وقوله: ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب)) [البقرة: ٤٤]، لكن ذلك منتفٍ بالإجماع ولكونه من أعظم المنفرات .

صفات الرسل والأنبياء

٥- قوله (تعالى) في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ((إنهم كانوا يسارعون في الخيرات)) [الأنبياء: ٩٠] فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك ، وقوله: ((وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار)) [ص: ٤٧] ، أي من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم .

٦- لو جاز عليهم أن يخونوا الله (تعالى) بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله (تعالى) أمرنا بطاعتهم واتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة، لأن الله (تعالى) لا يأمر بالفحشاء .